بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْمُضْطَرُّ لِرَحْمَةِ رَبِّهِ عَبْدُاللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ ابْنُ صَالِحٍ رَحِمَهُمُ اللهُ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا نِعْمَةَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا بِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا كِتَابُ سَبِيلِ السُّنَّةِ الْمُوصِلِ إِلَى الْجَنَّةِ وَجِوَارِ اللهِ ذِي الْمِنَّةِ الْمَجْمُوعِ فِي بَيَانِ مَا يَجِبُ عَلَى الْأَنَامِ مِنْ حُقُوقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَانِ أَخْلَاقِهِ الشَّرِيفَةِ وَسِيَرِهِ الصَّنِيفَةِ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ.

اَلْفَصْلُ الْأَوَّلُ

فِيمَا يَجِبُ عَلَى الْأَنَامِ مِنْ حُقُوقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالطَّاعَةُ لَهُ وَاتِّبَاعُ سُنَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)[1] الأية فَقَالَ تَعَالَى، (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)[2] وَقَالَ تَعَالَى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[3] الآية، وَتَرْكُ مُخَالَفَتِهِ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ"[4] اَلْحَدِيث وَقَالَ "مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِن سُنَّتِي قَدْ

١- سورة آل عمران: (٣١)

٢- سورة النساء: (٦٥).

٣- سورة الأحزاب: (٢١).

٤- الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد في مستدركه.

أُمِيتَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا"[1] وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِالْعَزِيزِ سَنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّةً اَلْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ بِكِتَابِ اللهِ وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللهِ لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا وَلاَ تَبْدِيلُهَا وَلاَ نَظَرٌ فِي رَأْيِ مَنْ خَالَفَهَا، مَنِ اقْتَدَى بِهَا مُهْتَدٍ وَمَنِ انْتَصَرَ بِهَا مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ. قَالَ سَهْلُ ابْنُ عَبْدِاللهِ "أُصُولُ مَذْهَبِنَا ثَلاَثَةٌ، اَلِاقْتِدَاءُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَخْلاَقِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَكْلِ مِنَ الْحَلاَلِ وَإِخْلاَصِ النِّيَّةِ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَمِنَ اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ لُزُومُ مَحَبَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ" وَقَالَ تَعَالَى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا

---

١ – الترمذي

حَتَّى يَأْتِيَ اللّٰهُ بِأَمْرِه)[1] فَكَفَى بِهِ تَنْبِيهًا عَلَى إِلْزَامِ مَحَبَّتِهِ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"[2]. وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيثَارُهُ وَإِيثَارُ اتِّبَاعِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ الشَّيْءَ اتَّبَعَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَادِقًا بَلْ مَدَّعِيًا بِالصَّادِقِ. وَمُحِبُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَظْهَرُ عَلَامَاتِ ذَلِكَ عَلَيْهَا وَأَوْلَاهَا الِاقْتِدَاءُ بِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ فِي عُسْرِهِ وَيُسْرِهِ وَمَنْشَطِهِ وَمَكْرَهِهِ، وَإِيثَارُ مَا شَرَعَهُ عَلَى سِوَى نَفْسٍ، وَكَثْرَةُ ذِكْرِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ وَكَثْرَةُ الشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ وَكُلُّ حَبِيبٍ يُحِبُّ لِقَاءَ حَبِيبِهِ وَكَثْرَةُ مَحَبَّةِ مَنْ أَحَبَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَعَدَاوَةُ مَنْ عَادَاهُمْ وَبُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ وَبُغْضُ مَنْ أَبْغَضَ اللّٰهَ

١- سورة التوبة: (٢٤).

٢- البخاري ومسلم.

وَرَسُولَهُ وَمُجَانَبَةُ مَنْ خَالَفَ سُنَّتَهُ وَاتِّبَاعٌ فِي دِينِهِ وَقَالَ تَعَالَى (لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)[1] الآية. وَحُبُّ الْقُرْآنِ ، وَذَلِكَ تِلاَوَتُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَتَفَهُّمُهُ وَالشَّفَقَةُ وَالرَّحْمَةُ عَلَى أُمَّتِهِ وَالسَّعْيُ بِمَصَالِحِهِمْ وَدَفْعُ الضَّارِ عَنْهُمْ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَإِيثَارُ الآخِرَةِ وَكَثْرَةُ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوْقِيرُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَذِكْرِ حَدِيثِهِ وَإِظْهَارُ الْخُشُوعِ وَالإِنْكِسَارُ وَالسُّكُونُ وَكَانَ أَيُّوبَ السَّخْمَانِي إِذَا ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى وَكَانَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ إِذَا ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَيَنْحَنِي حَتَّى يَصْعُبَ ذَلِكَ عَلَى جُلَسَائِهِ، وَكَانَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ يَذْكُرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَجِفُّ لِسَانُهُ فِي فَمِهِ هَيْبَةً لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيُنْظَرُ إِلَى

١- سورة المجادلة، (٢٢)

لَوْنِهِ كَأَنَّهُ نَزَفَ مِنْهُ الدَّمُ وَكَانَ الزُّهْرِي مِنْ أَهْنَإِ النَّاسِ وَأَقْرَبَهُمْ فَإِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ عِنْدَهُ فَكَأَنَّهُ مَا عَرَفَ أَحَدًا وَلاَ عَرَفَهُ وَمِنْ إِعْظَامِهِ إِكْرَامُ مَشَاهِدِهِ وَأَمْكِنَتِهِ مِنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَتَوْقِيرُ أَصْحَابِهِ بِالإِقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَحُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ وَمَعَادَاتُ مَنْ عَادَاهُمْ، وَالإِضْرَابُ عَنْ أَخْبَارِ جُمْلَةِ الرُّوَاتِ وَضلاَلِ الْمُبْتَدِعِينَ الْقَادِحِينَ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ وَالإِلْتِمَاسُ لَهُمْ أَحْسَنَ التَّأْوِيلاَتِ، وَذِكْرُ حَسَنَاتِهِمْ، وَالسُّكُوتُ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ. قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا"[1]. وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اَللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي لاَتَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ"[2] وَمِنْ حُبِّهِ

١- رواه الطبراني في الكبير.

٢- رواه إمام أحمد في مستدركه.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثْرَةُ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ وَإِلْزَامُهَا بَعْدَ التَّشَهُّدِ وَقَبْلَ الدُّعَاءِ وَبَعْدَهُ وَلِسِمَاعِ اسْمِهِ وَكِتَابَتِهِ وَعِنْدَ الأَذَانِ وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَعِنْدَ الْخُرُوجِ وَإِكْثَارُهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اَلْفَصْلُ الثَّانِي

فِي أَخْلاَقِهِ الزَّكِيَّةِ

وَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِأَخْلاَقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقْتَدِي بِهِ قَوْلاً وَفِعْلاً وَتَقْرِيرًا، وَاعْلَمْ يَا أَخِي إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْبُولٌ عَلَى الأَخْلاَقِ الْكَرِيمَةِ وَأَصْلُهَا كَمَالُ الْعَقْلِ إِذْ بِهِ تُكْتَسَبُ الْفَضَائِلُ وَتُجْتَنَبُ الرَّذَائِلُ، وَمَنْ تَأَمَّلَ حُسْنَ تَدْبِيرِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِلْعَرَبِ الَّذِينَ هُمْ كَالْوَحْشِ الشَّارِدِ وَكَيْفَ سَاسَهُمْ وَاحْتَمَلَ جَفَاءَهُمْ وَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُمْ إِلَى أَنِ انْقَادُوا إِلَيْهِ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ اللهِ بِسَبَبِهِ وَقَاتَلُوا دُونَهُ ءَابَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَعَشَائِرَهُمْ

وَاخْتَارُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَهَاجَرُو فِي رِضَاهُ أَوْطَانَهُمْ وَأَحْبَاءَهُمْ تَحَقَّقَ أَنَّهُ أَعْقَلَ النَّاسِ وَلِأَجْلِ كَمَالِ عَقْلِهِ اتَّسَعَتْ أَخْلَاقُ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ اتِّسَاعًا لَايَضِيقُ مَعَهُ شَيْءٌ، فَمِنْ ذَلِكَ اتِّسَاعُ خُلُقِهِ فِي الْحُكْمِ وَالْعَفْوِ مَعَ الْقَدَرِ وَصَبْرُ النَّفْسِ عَلَى مَا تُكْرِهُ، فَقَدِ احْتَمَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَاعِبَ الرِّسَالَةِ وَقَاسَى مَعَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ شِدَّةً فَمِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ قَامَ عَلَى الصَّفَا بَعْدَ مَا نَزَلَ قَوْلُهُ ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ))[1] وَنَادَى فِي أَيَّامِ الْمَوَاسِمِ "يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْكُمْ ثَلَاثًا فَرَمَقَهُ النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ كَذَلِكَ فَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فَيَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ فَأَتَاهُ مَلَكُ سَمَاءِ الدُّنْيَا لِيَحْرِقَهُمْ بِالنُّجُومِ وَمَلَكُ الشَّمْسِ لِيَحْرِقَهُمْ وَمَلَكُ الْأَرْضِ لِيَخْسِفَهُمْ فِيهَا وَمَلَكُ الْجِبَالِ لِيَحْطِمَهُمْ وَمَلَكُ الْبِحَارِ لِيُغْرِقَهُمْ وَقَالَ النَّبِيُّ "قَدْ أُمِرْتُمْ بِطَاعَتِي قَالُوا نَعَمْ

١- سورة الحجر: (١٩٣)

فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ عَذَابًا إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ دَعُونِي وَقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ"،[1] ثُمَّ جَعَلَ يُعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ يَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِ اللهِ فَبَعْضُهُمْ يَعْرِضُ عَنْهُ وَبَعْضُهُمْ يُجِيبُهُ أَقْبَحَ جَوَابٍ وَبَعْضُهُمْ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ وَيُؤْذِيهِ أَشَدَّ الْإِذَايَةِ وَهُوَ يَحْلِمُ عَنْهُمْ وَيَقُولُ اَللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ شِئْتَ لَمْ يَكُونُوا هَذَا وَإِنَّ قُلُوبَهُمْ بِيَدِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِمْ وَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ عَشْرَ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَ اللهُ بِالْأَنْصَارِ فَتَامَنُوا بِهِ وَءَاوَوْهُ بِالْمَدِينَةِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لاَ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ فَيَنْتَقِمُ اللهُ وَلِذَا لَمَّا شُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَالَ: "اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ"[2]، وَعَفَا عَنِ الَّذِي جَذَبَ رِدَاءَهُ حَتَّى أَثَّرَ فِيهِ وَعَنِ الَّذِي جَاءَ

١- كشف الغمة لجامع الأخبار: (ج١).

٢-أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار (١٧٥/٤) رقم (٣٤٧٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد (١٤١٧/٣) رقم (١٧٩٢)

يَتَقَاضَاهُ وَقَالَ فِيهِ مَا يَنْبَغِي وَعَنِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُؤْذُونَهُ إِذَا غَابَ لاَ يَزِيدُهُ الْجَهْلُ إِلاَّ حِلْمًا وَحِينَ شَغَلَهُ الْكُفَّارُ عَنِ الصَّلاَةِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَقَالَ: "مَلَأَ اللَّهُ بُطُونَهُمْ نَارًا" وَغَضِبَ حِينَ طَلَبَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ فِي قَطْعِ السَّارِقَةِ وَجَاءَ مُحْلِمُ بْنُ جَثَامَةَ حِينَ قَتَلَ عَامِرُ ابْنُ الأَضْبَطِ مُسْلِمًا وَادَّعَى عَدَمَ السِّلاَحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْتَغْفِرَهُ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ وَقَالَ "اَللَّهُمَّ لاَ تَغْفِرْ لِمُحْلِمَ بْنَ جَثَامَةَ"[1] ثَلاَثًا فَقَامَ وَدُمُوعُهُ تَنْحَدِرُ فَمَا مَكَثَ إِلاَّ سَبْعًا حَتَّى مَاتَ فَلَفَظَتْهُ الأَرْضُ غَضَبًا عَلَيْهِ لِغَضَبِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ زَجْرًا لِلنَّاسِ عَنِ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِ اللهِ وَكَانَ يُدَارِي النَّاسَ وَلاَ يُدَاهِنُهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ تَوَاضُعُهُ وَحُسْنُ عِشْرَتِهِ مَعَ أَهْلِهِ وَخَدْمَتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَحَسْبُكَ مِنْ تَوَاضُعِهِ، أَنَّ اللهَ خَيَّرَهُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا وَنَبِيًّا عَبْدًا فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا

١- الطبراني في الكبير (٤١/٦) قال العلماء في سنده ضعف.

يَخْدُمُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ وَيَقْطَعُ مَعَهُنَّ وَيَحْلُمُ فِي غَيْرَتِهِنَّ وَدِلاَلَتِهِنَّ، وَمَعَ ذَلِكَ يَحْكُمُ بَيْنَهُنَّ بِالْعَدْلِ كَمَا حَكَمَ فِي كَسْرِ عَائِشَةَ قَصْعَةَ صَفِيَّةَ، وَمَا نَهَى خَادِمًا قَطُّ، وَلاَ قَالَ لَهُ بِشَيْءٍ صَنَعَهُ لِمَ صَنَعْتَ وَلاَ شَيْءٍ تَرَكَهُ لِمَ تَرَكْتَهُ، لاَ يَمُدُّ رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مَا دَعَاهُ أَحَدٌ إِلاَّ لَبَّاهُ يَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ دَلْوَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ وَإِنْ كَانَ لَهُ خَادِمٌ، يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ عَبْدُهُ وَقَدْ أَرْدَفَ بَعْضَ نِسَائِهِ عَلَى الْجَمَلِ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ تَلَقَّتْهُ أُغَيْلَمَةُ بَنِي عَبْدِالْمُطَّلِبِ فَحَمَلَ قُثَمًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْفَضْلَ خَلْفَهُ وَسَارَ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى قُبَاءَ عَلَى حِمَارٍ فَأَرَادَ أَنْ يُرْدِفَهُ فَوَقَعَا مَرَّتَيْنِ حَتَّى أَبَى أَبُوهُرَيْرَةَ فِي الثَّالِثَةِ وَأَمَرَ الصَّحَابَةَ وَهُمْ فِي سَفَرٍ بِإِصْلاَحِ شَاةٍ فَقَالَ رَجُلٌ عَلَيَّ ذَبْحُهَا، وَقَالَ آخَرُ عَلَيَّ سَلْخُهَا وَقَالَ آخَرُ عَلَيَّ طَبْخُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ

جَمْعُ الْحَطَبِ"[1] فَقَالُوا أَكْرَهُ أَنْ يَتَمَيَّزَ عَلَيْكُمْ وَإِنَّ اللهَ يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمَيِّزًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَكَانَ يَخْدُمُ الضُّيُوفَ بِنَفْسِهِ، يَمْشِي مَعَ الْأَرْمِلَةِ وَالْأَيِّمَةِ وَالْمِسْكِينِ إِذَا دَعَوْهُ فِي حَاجَتِهِمْ يَعُودُ الْمَرْضَى وَيَشْهَدُ الْجَنَائِزَ، وَحَجَّ عَلَى رِجْلٍ، وَكَانَتْ رَاحِلَتُهُ زَامِلَةً وَكَانَ يَرْمِي مَعَ أَصْحَابِهِ النَّبْلَ وَيُبَاسِطُهُمْ بِمَا يُولِجُ حُبَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ لَكِنْ لاَ يَكْثُرُ، يُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ يُجْلِسُهُمْ عَلَى حِجْرِهِ يُشَاوِرُهُمْ فِي أُمُورِهِ وَكَانَ زُهَيْرٌ مَزَّاحًا يُهْدِي إِلَيْهِ عِكَّةً مِنَ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا يَتَقَاضَاهُ جَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَعْطِ هَذَا مَتَاعَهُ فَمَا يَزِيدُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَسَّمُ وَيَأْمُرُ بِهِ فَيُعْطَى وَكَانَ زُهَيْرٌ لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ طَرْفَةً إِلاَّ اشْتَرَى مِنْهَا وَجَاءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ فَيَقُولُ هَذِهِ هَدِيَّةٌ إِلَيْكَ فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهُ يَطْلُبُ ثَمَنَهُ يُقَضِّيهِ إِنْ كَانَ مَعَهُ مَا يَقْضِي بِهِ وَإِلاَّ جَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ

١- ذكره الطبري في خلاصة سير سيد البشر (٨٦/١) قال فيه بعض العلماء لا يعرف إسناده

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطِ هَذَا ثَمَنَ شَيْئِهِ فَيَقُولُ أَلَمْ تُهْدِهِ إِلَيَّ فَيَقُولُ لَيْسَ عِنْدِي فَيَضْحَكُ وَيَأْمُرُ لِصَاحِبِهِ ثَمَنَهُ وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حِينَ عَلِمَ نَيْسَ الثَّمَرِ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَكَانَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْزَحُ وَلاَ يَقُولُ إِلاَّ حَقًّا وَيَلِينُ جَانِبَهُ لِكُلِّ أَحَدٍ حَتَّى يَظُنَّ كُلُّ وَاحِدٍ أَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، مَا عَابَ طَعَامًا قَطُّ إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَ وَإِلاَّ تَرَكَهُ وَمِنْ عَيْبِ الطَّعَامِ أَنْ يَقُولَ مَالِحٌ، قَلِيلُ الْمِلْحِ، غَلِيظُ الدَّقِيقِ، غَيْرُ نَاضِجٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَّابٌ إِلاَّ أَنْ يُرِيدَ الْخَلْوَةَ لِنَفْسِهِ وَمِنْ ذَلِكَ شِدَّةُ حَيَائِهِ وَالْحَيَاءُ شَرْعًا خُلُقٌ يُبْعَثُ عَلَى اجْتِنَابِ الْقَبِيحِ وَاجْتِنَابِ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ كُلِّ ذِي حَقٍّ. وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لاَ يَثْبُتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ وَقَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا" مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَلاَ رَأَى مِنِّي وَنَحْنُ نَغْتَسِلُ فِي

إِنَاءٍ وَاحِدٍ[1]، تَعْنِي الْعَوْرَةَ ، وَلاَ يُوَاجِهُ أَحَدٌ بِمَا يَكْرَهُ إِلاَّ فِي حَقٍّ شَرْعِيٍّ، وَمِنْ ذَلِكَ خَوْفُهُ مِنَ اللهِ حَتَّى كَانَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيرٌ كَأَزِيرِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ وَمِنْ ذَلِكَ شِدَّةُ شَجَاعَتِهِ حَتَّى كَانَ يَسْبِقُ النَّاسَ لِصَوْتِ الصَّارِخِ إِذَا سَمِعَهُ فِي عُنُقِهِ السَّيْفَ، وَقَدْ أَقْبَلَ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدِ انْكَشَفَ عَنْهُ جَيْشُهُ يَقُولُ: أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبِ"[2]، يَفُوهُ بِاسْمِهِ الْخَاصِ بِهِ لِيَعْرِفَهُ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَمِنْ ذَلِكَ شِدَّةُ سَخَائِهِ مَا سُئِلَ شَيْئٌ إِلاَّ أَعْطَاهُ وَلاَ يَسْتَدِيرُ لِلنَّاسِ، وَكَانَ وَصُولاً لِرَحِمِهِ وَقَدْ جَادَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْجُودِ مِنْ بَذْلِ الْعِلْمِ وَالْمَالِ وَبَذْلِ نَفْسِهِ فِي إِظْهَارِ دِينِهِ، وَكَانَ يُؤْثِرُ النَّاسَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَوْلاَدِهِ، وَكَانَ جُودُهُ كُلُّهُ لِلَّهِ فِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ تَارَةً لِلْفَقِيرِ وَتَارَةً فِي سَبِيلِ اللهِ وَتَارَةً يَتَأَلَّفُ بِهِ عَلَى الإِسْلاَمِ.

١- الإمام البغوي: "الأنوار في شمائل النبي المختار" رقم الحديث (١٥٦٠).

٢- البخاري، في "كتاب المغازي" ومسلم في "كتاب الجهاد والسير"

اَلْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي سِيرَتِهِ الْعَلِيَّةِ

وَمِنْ ذَلِكَ عَدَمُ التَّوَسُّعِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: "لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفًا قَطُّ"[1] تَعْنِي شَبِعًا يُثْقِلُ الْمَعِدَةَ وَيَشْبِكُ صَاحِبَهُ عَلَى الْقِيَامِ بِالْعِبَادَةِ وَيُفْضِي إِلَى الْبَطَنَةِ وَالنَّوْمِ وَالْكَسَلِ وَكَانَ أَغْنَى النَّاسِ بِاللهِ، قَدْ كَفَى أَمْرُ دُنْيَاهُ فِي نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ. أَمَّا قَوْلُهُ "اَللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا"[2] اَلْمُرَادُ: اسْتِكَانَةُ الْقَلْبِ لاَ عَدَمَ الْكِفَايَةِ قَالَهُ الزَّرْكَشِي وَاعْلَمْ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ الْكَرِيمَةُ حَبْسَ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَغْذِيَةِ بَلْ يَأْكُلُ مَا جَرَتْ عَادَةُ أَهْلِ بَلَدِهِ بِأَكْمَلِهِ مِنَ اللَّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْخُبْزِ وَالتَّمْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانَ يُحِبُّ

١- أخرجه موسى المديني في (استحلاء الموت) وأورده القاضي في الشفا في الفصل الثاني والعشرين: الزهد في الدنيا.

٢- رواه الترمذي (٢٣٥٢) وقال "حديث غريب" ورواه ابن ماجه (٤١٢٦) وقد ضعفه ابن كثير في البداية والنهاية والله أعلم.

الْحُلْوَى وَهُوَ مَا صُنِعَ مِنَ الطَّعَامِ وَجَعَلَ فِيهِ الْحُلْوَ لِمَزِيدَةِ حَلاَوَةٍ وَيُحِبُّ الْعَسَلَ وَلَحْمَ الضَّأْنِ لَكِنْ كُلُّ ذَلِكَ لاَ عَلَى التَّشَهُّرِ لَهَا بَلِ الْمُرَادُ مِنْهَا إِذَا حَضَرَتْ إِلَيْهِ لِيلا يُعْلَمُ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا تُعْجِبُهُ وَقَدْ خَلَطَ عُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الدَّقِيقَ بِالْعَسَلِ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكَلَهُ وَاسْتَطَابَهُ وَدَعَى لِعُثْمَانَ "وَكَانَ يُعْجِبُهُ مِنَ اللَّحْمِ الذِّرَاعُ"[1] وَقَدْ أَكَلَ الشَّوْيَ كَمَا فِي التِّرْمِذِي الْعَدِيدَ كَمَا فِي السُّنَنِ وَلَحْمَ الدَّجَاجِ وَحِمَارَ الْوَحْشِ وَلَحْمَ الْجَمَلِ وَالأَرْنَبِ وَلَحْمَ دَوَابِ الْبَحْرِ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَأَكَلَ الثَّرِيدَ وَهُوَ مَا يَثْرُدُ بِمَرَقِ اللَّحْمِ وَغَيْرِهِ مِنْ خُبْزٍ أَوْ غَيْرِهِ وَأَكَلَ الْهَرِيسَةَ وَكَانَتِ الدُّبَّاءُ تُعْجِبُهُ وَأَكَلَ السِّلْقَ مَطْبُوخًا بِالشَّعِيرِ وَأَكَلَ الْخَزِيدَةَ وَالأَقِطَ وَالرُّطَبَ وَالتَّمْرَ وَالْبُسْرَ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ فَاكِهَةِ بَلَدِهِ عِنْدَ مَجِيئِهَا وَلاَ يَحْتَمِي عَنْهَا وَذَلِكَ مِنْ أَكْثَرِ

١- البخاري ومسلم

أَسْبَابِ الصِّحَّةِ وَقَالَتْ عَائِشَةُ "إِنَّ أَوَاخِرَ طَعَامٍ أَكَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ الْبَصَلُ كَمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَكَانَ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثَةِ وَيَلْصَقُهَا إِذَا فَرَغَ. وَيَأْكُلُ بِالْوُسْطَى ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا ثُمَّ الْإِبْهَامَ رُبَّمَا أَكَلَ بِخَمْسٍ إِنِ اقْتَضَاهُ الْحَالُ لَا يَأْكُلُ بَلْ مُقْفِيًا وَإِذَا وَضَعَ يَدَهُ يَقُولُ: "بِسْمِ اللهِ"[1] وَفِي آخِرِهِ "اَلْحَمْدُ لِلَّهِ "وَيُحِبُّ التَّيَامُنَ"[2] فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ يَكْرَهُ الطَّعَامَ الْحَارَّ وَيَقُولُ "عَلَيْكُمْ بِالْبَارِدِ"[3] وَكَانَ لَهُ قَدَحٌ مِنْ خَشَبٍ مُضَبَّبٌ بِحَدِيدٍ لَمْ يَأْكُلْ عَلَى خِوَانٍ وَلَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا مُرَقَّقًا يَسْتَقْدِبُ الْمَاءَ بِالتَّمْرِ "وَيَشْرَبُ اللَّبَنَ"[4] خَالِصًا وَتَارَةً مَشُوبًا بِالْمَاءِ الْبَارِدِ لِغَلَبَةِ الْحَرَارَةِ فِي بِلَادِهِ وَيَشْرَبُ قَاعِدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَادَتَهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَدْ شَرِبَ قَائِمًا لِبَيَانِ الْجَوَازِ وَكَانَ يَتَنَفَّسُ

١- أخرجه أبو داود (٣٤٧/٤) والترمذي (٢٨٨/٤)

٢- رواه البخاري في أبواب المساجد باب التيمن في دخول المسجد وغيره (١/ ١٦٥)

٣- أخرجه أبو نعيم ي الحلية الأولياء (٢٥٢/٧) وهو ضعيف.

٤- قال الترمذي هذا حديث حسن.

فِي الشُّرْبِ ثَلاَثًا وَيَقُولُ إِنَّهُ أَرْوَى تَنَفُّسِهِ خَارِجَهُ ثُمَّ يَعُودُ
إِلَى الشُّرْبِ وَكَانَ إِذَا دَعَى بِطَعَامٍ وَتَبِعَهُ أَحَدًا عَلِمَ بِهِ رَبُّ
الْمَنْزِلِ وَإِذَا أَكَلَ قَوْمٌ دَعَا لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ اَللّٰهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ
فِيمَا رَزَقْتَهُمْ وَارْحَمْهُمْ كَمَا فِي مُسْلِمْ وَمِنْ ذٰلِكَ عَدَمِ
التَّوَسُّعِ وَالتَّأَنِّي فِي اللِّبَاسِ مَا وَجَدَ وَقَدْ لَبِسَ الشَّمْلَةَ
وَالْكِسَاءَ الْخَشِنَ وَالإِزَارَ وَالرِّدَاءَ وَالْقَمِيصَ وَالْعَمَامَةَ
وَالْقَلَنْسُوَةَ لاَ يُطِيلُ أَكْمَامَ قَمِيصِهِ وَلاَ يُوَسِّعُهَا بَلْ كَانَتْ
كَمُّ قَمِيصِهِ إِلَى الرُّسْغِ كَمَا فِي التِّرْمِذِي وَقِيلَ قَمِيصُهُ
وَرِدَائُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى كَعْبَيْهِ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ عَمَامَةٌ
كَثِيرَةٌ فَلاَ صَغِيرَةٌ بَلْ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبْعَةُ أَذْرُعٍ وَنَحْوِهِ فِي
التِّرْمِذِي كَمَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْحَاءُ أَيْ
قَلَنْسُوَةٌ مُنْبَطِحَةٌ مُنْتَصِبَةٌ وَعَنْ عَائِشَةَ كَانَتْ لَهُ كَمَّةٌ بَيْضَاءُ
رَوَاهُ الدِّمْيَاطِي. وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ قَمِيصُهُ قُطْنًا قَصِيرَ الطُّولِ
وَالْكُمِّينِ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ وَأَمَّا هٰذِهِ الأَكْمَامُ الْوَاسِعَةُ
كَالإِخْرَاجِ وَعَمَائِمُ كَالأَبْرَابِ فَلَمْ يَلْبَسْهَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ

وَلاَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهِيَ مُخَالِفَةٌ لِسُنَّةٍ وَفِي جَوَازِهَا نَظَرٌ فَإِنَّهَا مِنَ الْخُيَلاَءِ وَانْتَهَى وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِذَا أَعْتَمَ أَرْخَى طَرَفَ عَمَامَتِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَمُّ يُدِيرُ عَمَامَتَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَغْرِسُهُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُرْخِي لَهَا ذُوَابَةً بَيْنَ كَتِفَيْهِ. وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ حُرَيْثٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَعَلَيْهِ عَمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرْخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ"[1] وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَرْقٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ الْعَائِمُ عَلَى الْقَلاَنِسِ وَطَافَ بِالْبَيْتِ بِبُرْدٍ أَخْضَرَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[2] وَلَبِسَ جُبَّةً رُومِيَّةً ضِيقَةَ الْكُمَّيْنِ رَوَاهُ التِّرْمِذِي. وَعَنْ أَبِي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ رَوَاهُ الْبُخَارِي وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى

١- الترمذي :"باب العمائم على القلانس" قال أبو عيسى هذا حديث غريب وإسناده ليس بالقائم، الحاشية ج١، ص: ٣٩٣.

٢- متفق عليه (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح). كتاب اللباس.

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدٍ، رَوَاهُ التِّرْمِذِي، وَلَبِسَ الصُّوفَ وَعَنْ أَبِي جَحِيفَةَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، رَوَاهُ التُّرْمُذِي وَالْحُلَّةُ لاَ تَكُونُ إِلاَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ غَلَطَ مِنْ طَرَافِهَا كَانَتْ حَمْرَاءَ بَحْتًا لاَ يُخَالِطُهَا غَيْرُهَا وَإِنَّمَا الْحُلَّةُ بُرْدَانِ يَمَانِيَانِ مَنْسُوجَانِ بِخُطُوطٍ أَحْمَرٍ مَعَ الْأَسْوَدِ فَسُمِّيَتْ حَمْرَاءَ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهَا مِنَ الْخُطُوطِ وَ إِلاَّ فَالْأَحْمَرُ الْبَحْتُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ. انتهى.

قَالَ الرَّاوِي اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الثِّيَابِ الْمُعْصَفَرَةِ الْمَصْبُوغَةِ بِصِبْغٍ أَحْمَرٍ أَجَازَهَا الْجَمْهُورُ مَعَ كَوْنِهَا خِلاَفُ الأَوْلَى، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[1] رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتَزِرُ تَحْتَ سُرَّتِهِ وَرَأَيْتُ عُمَرَ يَأْتَزِرُ فَوْقَ سُرَّتِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ لَبِسَ سِرْوَالاً، وَرَوَى لَبِسَهُ وَلَمْ يَصِحَّ وَلَكِنْ كَانُوا يَلْبَسُونَهُ فِي زَمَانِهِ وَأَخْرَجَتْ

١- ابن سعيد (صحيح السنة النبوية) ج١، ص: ٢٢٤، رقم الحديث (١٣٢٨)

أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ جُبَّتًا طَيَالَسِيَّةً أَيْ سَاجٍ كَسي وأينة كها لبنة وفر جاها مَكْفُوفَانِ بِالدِّيبَاجِ قَالَتْ هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا فَنَسْتَشْفِي بِهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَاللِّبْنَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ وَإِسْكَانِ الْبَاءِ رَقْعَةٌ فِي جَيْبِ الْقَمِيصِ وَفِيهِ النَّهْيُ مِنَ الْحَرِيرِ الْمَحْضِ أَوْ مَا كَثُرَ مِنْهُ وَاتَّخَذَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمًا مِن فِضَّةٍ فَصُّهُ مِنْهُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ خَاتَمَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فَصُّهُ حَبَشِيًّا أَيْ حَجَرًا حَبَشِيًّا أَيْ فِصَامٌ مِنْ جَذَعٍ أَوْ عَقِيقٍ فَإِنَّ بَعْدَهُمَا بِالْحَبَشِيَّةِ وَالْيَمَنِ فَيَكُونُ لَهُ خَاتَمًا واللهُ أَعْلَمُ. وَيَجُوزُ التَّخَتُّمُ فِي الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ، وَالْيَسَارُ أَفْضَلُ وَقِيلَ الْيَمِينُ أَفْضَلُ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى الْمَخْفَصِ مِنْ يَدَيْهِ الْيُسْرَى وَرَوَى أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ

وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ أَنَّهُ كَانَ يَخْتَمُ فِي يَمِينِهِ وَأَهْدَى لَهُ
النَّجَاشِيُّ خُفَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ سَائِجَيْنِ أَيْ مَفْرِيَيْنِ فَلَبِسَهُمَا ثُمَّ
تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَيَلْبَسُ النِّعَالَ الَّتِي
لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ وَكَانَ فِرَاشُهُ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَيْ مَا حَشْوُهُ
لِيفٌ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَنَامَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي
جَنْبِهِ مَا عَابَ مُضْطَجِعًا قَطُّ إِنْ فُرِشَ لَهُ اِضْطَجَعَ وَإِلاَّ
يَضْطَجِعُ عَلَى الْأَرْضِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ مِنَ الْجَمَاعِ مَا يَحْفَظُ بِهِ الصِّحَّةَ
وَتَتِمُّ بِهِ اللَّذَّةُ وَتَحْصُلُ بِهِ مَقَاصِدُ النِّكَاحِ مِنْ دَوَامِ النَّوْعِ
الْإِنْسَانِي وَحِفْظِ الصِّحَّةِ وَتَيَسُّرِ الْعِفَّةِ لِنَفْسِهِ وَلِلْمَرْأَةِ إِذْ لاَ
يَبْقَى إِخْرَاجُ الْمَنِيِّ إِلاَّ لِطَلَبِ النَّسْلِ أَوْ إِزَالَةِ الْجَفْنَةِ إِذَا
دَامَ احْتِقَانُهُ أَحْدَثَ أَمْرَاضًا رَدِيَّةً مِنْهَا الْوَسْوَاسُ الْجُنُونُ
وَالْقَرِعُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مَأْذُونًا لَهُ وَإِذَا خَرَجَ يَخْرُجُ لِسَانُهُ
وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ إِلاَّ فِيمَا يَعْنِيهِ وَلاَ يَطْوِي بِهِ وَمِنْ ذَلِكَ حُسْنُ
سِيرَتِهِ فِي مَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ وَمَجْلِسِهِ كَانَ فِي دُخُولِهِ

مَأْذُونًا لَهُ وَإِذَا خَرَجَ يَحْرِزُ لِسَانَهُ وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ إِلاَّ فِيمَا يَعْنِيهِ لاَ يَطْوِي بِشْرَهُ عَنْ أَحَدٍ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ يَمْشِي تَكَفُّفًا كَأَنَّمَا يَخُطُّ مِنْ صَبَبٍ وَعَنِ الْبَزَّارُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَسْرَعُ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَا لَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَثِرٍ وَالتَّكَفُّؤُ وَالتَّقَلُّعُ: اَلإِسْرَاعُ وَالارْتِفَاعُ مِنَ الأَرْضِ وَبَعْضُ النَّاسِ يَمْشِي كَالْخَشَبِ الْمَجْرُورِ وَهُوَ مَذْمُومٌ وَبَعْضُهُمْ يَمْشِي بِالانْزِعَاجِ كَأَنَّهُ حِمْلٌ أَهْوَجٌ وَهُوَ مَذْمُومٌ، وَمِنْ خِفَّةِ الْعَقْلِ لاَ سِيَّمَا مَعَ الالْتِفَاتِ يَمِينًا وَشِمَالاً وَكَانَ النَّبِيُّ[1] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي خَلْفَ أَصْحَابِهِ وَيَقُولُ خَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلاَئِكَةِ وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبُولُ قَاعِدًا أَوْ رُبَّمَا بَالَ قَائِمًا لِعِلَّةٍ أَيْ بَيَانُ الْجَوَازِ، يَقُولُ عِنْدَ الدُّخُولِ فِي الْخَلاَءِ اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ وَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلاَءِ قَالَ غُفْرَانَكَ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَكَانَ إِذَا

١- ابن ماجه ٢٤٦.

خَرَجَ لِحَاجَتِهِ اِتَّبَعَهُ غُلاَمٌ بِأَدَوَاةٍ يَسْتَنْجِي بِهَا وَمِنْ ذَلِكَ حُسْنُ سِيرَتِهِ فِي نَوْمِهِ وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَيَقُومُ فِي النِّصْفِ الثَّانِي فَيَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ مِنَ النَّوْمِ فَوْقَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ وَلاَ يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ وَكَانَ يَنَامُ عَلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ ذَاكِرٌ لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى تَغْلُبُهُ عَيْنَاهُ غَيْرَ مُمْتَلِئِ الْبَطْنِ، يَنَامُ عَلَى الْفِرَاشِ تَارَةً وَعَلَى النَّطَعِ وَعَلَى الْحَصِيرِ وَعَلَى الأَرْضِ تَارَةً وَإِذَا[2] أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ يَجْمَعُ كَفَّيْهِ وَيَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ بِيَدِهِ وَعَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَصْنَعُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ وَيَقُولُ بِاسْمِكَ اَللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا وَمِنْ ذَلِكَ حُسْنُ سِيرَتِهِ مَعَ الْوُفُودِ عَلَيْهِ بِالتَّرْحِيبِ

١- البخاري ومسلم "مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح" كتاب الصلاة باب التحريض على قيام الليل، حديث ١٢٢٦.

٢- البخاري ٥٠١٨.

وَالْإِنْزَالِ وَالْإِطْعَامِ وَبَيَانِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ لَهُمْ وَكَانَ دَارُ
رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ النَّجَّارِيَّةِ دَارَ ضِيَافِ رَسُولِ اللهِ مَحَلُّ
نُزُولِ الْوُفُودِ الْوَحْدَةِ عَلَيْهِ هِيَ دَارٌ وَاسِعَةٌ فِيهَا نَخْلٌ فَإِذَا
سَمِعَ الْوَفْدُ قَالَ انْزِلُوهُمْ حَيْثُ يَنْزِلُ الْوُفُودُ وَبَعْضُ
الْوُفُودِ يَتَلَقَّاهَا بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَيُنْزِلُهَا وَيُكْرِمُهَا ثُمَّ يَأْتِي بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْضُهُمْ يَنْزِلُ فِي الْمَسْجِدِ وَبَعْضُهُمْ يَنْزِلُ
نَاحِيَةً مِنَ الْمَدِينَةِ كَبَقِيعِ الْقَرْقَدِ يُخَلِّفُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى
مَتَاعِهِمْ ثُمَّ يَأْتُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ
الْإِسْلَامِ كَمَا فَعَلَ لِبَنِي عَامِرٍ وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ
خُطْوَةٍ خَطَّاهَا بَعِيرُ أَحَدِكُمْ حَسَنَةً وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى الْمُلُوكِ
رُسُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ يَكْتُبُ مَعَهُمْ كِتَابَهُ إِلَى الْمُلُوكِ
وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِعْدَادُهُ لِآلَاتِ
الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تِسْعَةُ أَسْيَاقٍ وَثَلَاثَةُ
أَتْرَاسٍ وَسَبْعُ زِرَاعٍ وَسِتَّةُ أَقْوَاسٍ وَكَانَتْ لَهُ جُعْبَةٌ تُدْعَى

الْكَافُورُ يَجْمَعُ فِيهَا نِبَالَهُ وَلَهُ مَنْطِقَةٌ مِنْ أَجْمَعَ وَخَمْسَةُ أَرْمَاحٍ وَكَانَ لَهُ مِغْفَرَانِ وَرَايَةٌ سَوْدَاءُ وَرَايَةٌ بَيْضَاءُ وَلِوَاءٌ أَبْيَضُ وَكَانَ لَهُ مِحْجَلٌ قَدْرُ زِرَاعٍ أَو أَكْثَرَ يَرْكَبُ بِهِ وَيُعَلِّقُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى بَعِيرِهِ وَلَهُ مُخْصِرَةٌ تُسَمَّى الْعَرْجُونَ وَقَضْبَانٌ يُسَمَّى الْمَمْشُوقَ وَقَدَحٌ وَتَوْرٌ مِنْ حِجَارَةٍ يَتَوَضَّأُ فِيهِ وَمِخْضَبٌ مِنْ شَبَهٍ يَكُونُ فِيهِ الْحَنَاءُ وَمِغْسَلٌ مِنْ صُفْرٍ وَمِدْهَنٌ وَرَبْقَةٌ يَحْفَلُ فِيهَا مِشْطٌ مِنْ عَاجٍ، وَمُكْحُلَةٌ وَمِقْرَاضٌ وَمِسْوَاكٌ وَمِرْءَاةٌ، مَلَكَ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ وَكَانَتْ لَهُ يُفَاحُ مِنَ الْإِبِلِ وَكَانَ لَهُ مِنَ الْغَنَمِ مِائَةُ شَاةٍ وَكَانَتْ سَبْعَةُ أَعْنُزٍ مَنَائِحَ تَرْعَاهَا أُمُّ أَيْمَنَ وَأَمَّا الْبَقَرُ فَلَمْ يُنْقَلْ إِنَّهُ مَلَكَ مِنْهَا شَيْئًا إِذْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَمَالِيكِ قَوْمِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ، وَمِنْ ذَلِكَ حُسْنُ سِيرَتِهِ فِي تَزَوُّجِهِ وَتَزْوِيجِهِ وَقَدْ تَزَوَّجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ النِّسَاءَ الْمَعْلُومَاتِ وَأَصْدَقَهُنَّ وَأَوْلَمَ (مِنْ وَلِيمَةٍ) لِعِرْسٍ بَعْضِهِنَّ تَمْرًا وَأَقِطًا وَسَمْنًا كَصَفِيَّةَ

وَلَمْ يُولَدْ بَعْضُهُنَّ شَيْئًا كَعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ[1] بَنَا بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا نَحَرْتُ عَلَى جُزُورٍ وَمَا ذَبَحْتُ عَلَى شَاةٍ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِحَفْنَةٍ كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَى دَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ زَوَّجَ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ بِنْتَهُ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ وَقَدْ زَوَّجْتُهُ عَلَى أَرْبَعُمِائَةِ مِثْقَالَ فِضَّةٍ أَرَضِيتَ يَا عَلِيُّ فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيتُ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ فَقَالَ جَمَعَ اللهُ شَمْلَكُمَا وَبَارَكَ عَلَيْكُمَا، وَأَخْرَجَ مِنْكُمَا خَيْرًا كَثِيرًا طَيِّبًا ثُمَّ دَعَا بِطَبَقٍ مِنْ بَسَرٍ فَوَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ قَالَ انْتَهِبُوا فَلَمَّا جَاءَهُ عَلِيٌّ بِالصَّدَاقِ وَقَبَضَ عَنْهُ قَبْضَةً فَقَالَ يَا بِلَالُ أَتْبِعْ بِهَا طَيِّبًا لِفَاطِمَةَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمِّ سَلَمَةَ جَهِّزِي فَاطِمَةَ فَأَخَذَتْ أُمُّ سَلَمَةَ بَقِيَّةً وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَ ثُلُثَهَا فِي الطِّيبِ وَثُلُثَهَا فِي الثِّيَابِ وَالْمَتَاعِ وَبَنَى بِهَا عَلِيٌّ بَعْدَ

١- من رواية أنس بن مالك قال بعض العلماء إنه حديث موضوع.

سَبْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً مِنَ النِّكَاحِ وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةَ بَنَى بِهَا أَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبَضَهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ قَالَ اِذْهَبِي فَصَيِّرِ فَسِيرِ مَنْزِلَهَا قَالَ فَجَاءَ إِلَى بِنْتِ فَعَمِلَتْ فِرَاشَ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ انْصَرَفَ) أَيْ بَيْت فَبَعَثَتْ بِفَاطِمَةَ إِلَى عَلِيٍّ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَمِنْ ذَلِكَ قِيَامُهُ بِالْجِدِّ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الْكُفْرِ هِيَ السُّفْلَى حَتَّى غَزَا لِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزَوَاةٍ وَبَعَثَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً وَبَعَثَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ سَرِيَّةً وَقَاتَلَ فِي تِسْعِ غَزْوَاتٍ، بَدْرٍ وَ أُحُدٍ وَلِمَنْ يَسِيغُ وَالْخَنْدَقِ وَقُرَيْظَةَ وَخَيْبَرَ وَفَتْحِ مَكَّةَ وَحُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ وَمِنْ ذَلِكَ حُسْنُ سِيرَتِهِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ إِذَا كَانَ (إِذْ كَانَ يُحْمَلُ وَيُطَافُ بِهِ عَلَى نِسَائِهِ يُقَسِّمُ بَيْنَهُنَّ وَإِنَّ الْقَسْمَ لَيْسَ لِوَاجِبٍ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ أَمْرُهُ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَاسْتَأْذَنَ نِسَاءَهُ أَنْ يَمْرِضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَأَذِنَ لَهُ وَكَانَ يُصَلِّي

بالنَّاسِ فِي مُدَّةِ مَرْضِهِ وَإِنَّمَا انْقَطَعَ عَنْهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَأَمَرَ أَبَابَكْرٍ أَنْ يُصَلِّى بِالنَّاسِ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَ عَائِشَةَ سَبْعَةُ دَنَانِيرُ فَقَالَ إِذْهَبِي بِهَا إِلَى عَلِيٍّ فَتَصَدَّقَ بِهَا وَثَقُلَ عَلَى عَائِشَةَ مَا بِهِ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَبَعَثَتْ عَائِشَةَ إِلَى عَلِيٍّ فَتَصَدَّقَ بِهِ فَقَالَ عَلِيٌّ مَا ظَنَّ مُحَمَّدٌ بِرَبِّهِ أَنْ لَوْ لَقِيَ اللهَ وَهَذِهِ وَقَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ فَنَظَرُوا إِلَيْهِمْ وَأَعْجَبَهُ اِشْتِغَالُهُمْ بِالصَّلاَةِ بَعْدَهُ فَتَبَسَّمَ فَكَادَ النَّاسُ أَنْ يَفْتَتِنُواْ مِنَ الْعَرْفِ يروية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَكَسَ أَبُوبَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الْعِفَّ يَظُنُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجًا إِلَى الصَّلاَةِ فَأَشَارَ إِلَى النَّاسِ أَنْ تُصَلُّوا صَلاَتَكُمْ وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَاهِهِ عِنْدَكَ آمِين.

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللهِ وَحُسْنِ عَوْنِهِ ءَامِينْ.